

السيرة النبوية للبراعم

(٤)

صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

وُلْدَ الْهُدَى

الدكتور

محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

أَثْنَاءَ الْحَمْلِ

تَعَالَوْا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْبَرَاعِمُ لِنَرَى مَاذَا حَدَثَ
مَعَ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ أَثْنَاءَ حَمْلِهَا بِالرَّسُولِ ﷺ .
لَقَدْ ظَهَرَتْ لَهَا بَعْضُ الْآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ ،
مِنْهَا : أَنَّهَا كَانَتْ تَرَى فِي الْمَنَامِ مَنْ يَقُولُ لَهَا :
لَقَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِذَا وَضَعْتِيهِ ؛
فَسَمِّيهِ مُحَمَّدًا .

وَمِنْهَا : مَا قَالَتْهُ هِيَ : مَا شَعَرْتُ أَنِّي حَمَلْتُ
بِهِ ، وَلَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقْلًا ، وَلَا وَحْمًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ .
وَمِنْهَا : أَنَّهَا سَمِعَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ نِدَاءً - دُونَ
أَنْ تَعْرِفَ مَصْدَرَهُ - يَقُولُ لَهَا : يَا أَمْنَةُ! إِنَّكَ قَدْ

حَمَلَتْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ ، وَسَيِّدِ الْعَالَمِينَ ، فَإِذَا
وَلَدَتْهُ فَسَمَّيْهِ أَحْمَدَ ، وَمُحَمَّدًا ، وَعَلَّقِي عَلَيْهِ هَذِهِ
الصَّحِيفَةَ الذَّهَبِيَّةَ .

قَالَتْ : وَأَذْكَرُ أَنِّي قَرَأْتُ مِنْهَا مَايَلِي :

أَعْيِذُ بِالْوَاحِدِ
مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ
وَكُلِّ خَلْقٍ رَائِدٍ
مِنْ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ
أَنَّهُمْ عَنْهُ بِاللَّهِ الْأَعْلَى ، وَأَحُوطُهُ مِنْهُمْ بِالْيَدِ
الْعُلْيَا ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، وَحِجَابُ اللَّهِ دُونَ
عَادِيهِمْ .

* * *

وَلَيْلَةُ مَوْلِدِهِ ﷺ

وَحَدَّثَتْ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ ﷺ أُمُورٌ غَرِيبَةٌ ،
وَعَجِيبَةٌ ، مِنْهَا :

ارْتَجَفَ إِيوَانُ كِسْرَى ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ
عَشْرَةَ شُرْفَةً ، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ ، وَوَقَعَتْ كَثِيرٌ
مِنَ الْأَصْنَامِ عَلَى الْأَرْضِ

أَمَّا أَمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ فَقَدْ رَأَتْ أَثْنَاءَ وِلَادَتِهَا
نُورًا قَوِيًّا أَضَاءَ كُلَّ مَا حَوْلَهَا .

وَفِي لَيْلَةِ الْإِثْنِينَ (١٢ ربيع الأول) عام
الفيل ، الموافق (٢٠ نيسان ٥٧١ م) وُلِدَ
المُصْطَفَى ﷺ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي دَارٍ مَعْرُوفَةٍ بِرُقَاقٍ

فِي مَكَّةَ ، وَرَحِمَ اللهُ الشَّاعِرَ حِينَمَا وَصَفَ مَوْلِدَهُ
الشَّرِيفَ :

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ
وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءُ
الرُّوحِ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ
لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ
وَالْعَرْشُ يَزُوهُ وَالْحَظِيرَةُ تَرُ
دَهِي وَالْمُنْتَهَى وَالسُّدْرَةَ الْعَصْمَاءُ
بِكَ بَشَّرَ اللهُ السَّمَاءَ فَزَيَّنَتْ
وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَاً بِهِ الْغِبْرَاءُ
يَوْمٌ يَتِيهُ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ
وَمَسَاؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَاءُ
دُعِرَتْ عُرُوشُ الظَّالِمِينَ فَزُلْزَلَتْ
وَعَلَتْ عَلَى تَيْجَانِهِمْ أَصْدَاءُ

وَالنَّارُ خَاوِيَةٌ الْجَوَانِبِ حَوْلَهُمْ

جَمَعَتْ ذَوَائِبَهَا وَغَاضَ الْمَاءُ

وَالْآيُ تَتَرَى وَالخَوَارِقُ جَمَّةٌ

جَبْرِيلُ رَوَّاحٌ بِهَا غَدَاءُ

وَعَادَةٌ يَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْبَرَاعِمُ عِنْدَمَا يُوَلَدُ

طِفْلٌ فِي أُسْرَةٍ مَا تَفْرَحُ الْأُمُّ وَالْأَبُ ، وَيَفْرَحُ

إِخْوَتُهُ الْأَوْلَادُ ، لَكِنْ مَنْ فَرِحَ بِالْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ

صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؟

* * *

فَرَحٌ... وَتُرُورٌ بِمَوْلِدِهِ ﷺ

وَفَرِحَتْ أَمِنَّةٌ بِمَوْلِدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فَرِحًا
عَظِيمًا ، لَكِنَّ الْعَادَةَ أَنْ تَحْمِلَ الْأُمُّ الْبِشَارَةَ إِلَى
زَوْجِهَا ، فَإِلَى مَنْ تَحْمِلُ أَمِنَّةُ الْبُشْرَى ، وَقَدْ مَاتَ
عَبْدُ اللهِ ؟

لَقَدْ حُمِلَ الْغُلَامُ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَمَّا
نَظَرَ إِلَيْهِ : أَخَذَهُ ، وَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَبِي
طَالِبٍ ، وَأَوْصَاهُ قَائِلًا : هُوَ وَدِيعَتِي عِنْدَكَ ،
لِيَكُونَنَّ لِابْنِي هَذَا شَأْنٌ .

ثُمَّ أَمَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَنُحِرَتِ الْإِبِلُ ، وَذُبِحَتِ

السَّاءُ ، وَأَطْعَمَ أَهْلَ مَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلِيَالِيهَا ، ثُمَّ
سَمَّاهُ : مُحَمَّدًا ﷺ .

فَقِيلَ لَهُ : وَلِمَاذَا أُسْمِيْتَهُ مُحَمَّدًا ؟

قَالَ : عَسَى أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ
الْأَرْضِ .

لَكِنْ يَا أَحِبَّتِي الْبِرَاعِمَ! تَعَالَوْا نَتَسَاءَلُ : هَلْ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ هُوَ الرَّجُلُ الْوَحِيدُ الَّذِي فَرِحَ بِمَوْلِدِ
الرَّسُولِ ﷺ ؟

أَبْدَأُ! فَعَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ عِنْدَمَا جَاءَتْهُ جَارِيَتُهُ
(تُؤَيَّبَةُ) ، فَبَشَّرَتْهُ بِأَنَّ أَمِنَةَ قَدْ وُلِدَتْ مَوْلُوداً
ذَكَرًا ؛ فَرِحَ كَثِيراً ، وَأَرَادَ أَنْ يُعْطِيَ الْجَارِيَةَ شَيْئاً
مِنْ مَالٍ أَوْ حُلِيِّ ، فَلَمْ يَجِدْ أَمَامَهُ شَيْئاً ، فَأَعْتَقَهَا
قَائِلاً : أَنْتِ حُرَّةٌ لِرُؤُوسِهِ اللَّهِ!

بَلْ وَكُلُّ النَّاسِ يَخْتَفِلُونَ بِمَوْلِدِهِ ﷺ ، وَذَلِكَ

لأنه هو احتفل بمولده ، كيف ذلك يا أحبتي ؟!

ورد في صحيح الإمام مسلم : أن
الرسول ﷺ سئل عن صومه يوم الإثنين ؟
فقال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل علي » .

فالرسول ﷺ عبر عن فرحته بمولده
بالصيام ، فكيف نُعبّر نحن عن فرحنا بمولده ؟
لا بُد لنا أن نجتمع في ذكرى مولده ﷺ ،
ونستذكر سيرته : كيف كان مع الأولاد ، ومع
الزوجات ، ومع عامة الناس ، وفي المسجد ،
وفي الطريق ، وفي سلمه ، وحرابه ، وفي كل
حركاته صلوات الله عليه وسلم .

وذلك بهدف الاقتداء بذلك النموذج الرائع ،
عسى أن يكتبنا الله عنده مع الفائزين ، ورحم الله
الشاعر الذي صور فرحة أبي لهب

بِمَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ ، ثُمَّ قَارَنَ ذَلِكَ بِفَرْحَةِ الْعَبْدِ
الْمُؤْمِنِ بِالْعَيْشَةِ مَعَ اللَّهِ ، وَرَسُولِهِ ، وَذَلِكَ
بِقَوْلِهِ :

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِرًا جَاءَ ذَمُّهُ

وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدًا

أَتَى أُمَّهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ دَائِمًا

يُخَفِّفُ عَنْهُ لِلسَّرُورِ بِأَحْمَدَا

فَمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِي كَانَ عُمُرُهُ

بِأَحْمَدَ مَسْرُورًا وَجَاءَ مُوَحَّدًا؟!

وَكَيْفَ لَا نَفْرَحَ وَقَدْ اٰمَنَّا اللهُ عَلَيْنَا بِهِ

صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ

سُبْحَانَهُ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿١﴾ .

فَلَهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ الشُّكْرُ ، وَالْفَضْلُ ، وَالْمِنَّةُ
عَلَى أَنْ أَرْسَلَ لَنَا خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدًا ﷺ فَلَوْلَا
ذَلِكَ لَكُنَّا كَفَرَةً أَوْ مُشْرِكِينَ!..

* * *

(١) سورة آل عمران : ١٦٤ .

أَحْمَدُ مَكْتُوبٌ عَلَى اللِّسَانِ

وَعَمَّتِ الْفَرْحَةُ مَكَّةَ كُلَّهَا ، وَجَاءَ وَفَدَّ إِلَى عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ يَدْعُوْنَهُ مِنْ أَجْلِ أَخْذِ الْغُلَامِ إِلَى جِوَارِ
الْكَعْبَةِ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ النَّاسُ...

فَأَجَابَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ
حَتَّى يَكْبَرَ الْغُلَامُ قَلِيلاً .

وَبِالْفِعْلِ بَعْدَ قُرَابَةِ سَنَةٍ اصْطَحَبَ عَبْدُ
الْمُطَّلِبِ النَّبِيَّ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَهُنَاكَ رَفَعَهُ
إِلَى جِوَارِ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فِي الْكَعْبَةِ ، وَرَاحَ
يَدْعُو اللَّهَ ، وَيَشْكُرُهُ وَيَقُولُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي
هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِ^(١)
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ
أَعْيَدُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الْفِثْيَانِ
حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ
أَعْيَدُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَنَانِ
مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْجِنَانِ
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ
فِي كُتُبِ ثَابِتَةِ الْمَبَانِي
أَحْمَدُ مَكْتُوبٌ عَلَى اللِّسَانِ
ثُمَّ أَمْرٌ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ فَذُبِحَتْ الْجِمَالُ ، وَطَبِخَ

(١) الأردن : الأكمام .

عَلَيْهَا ، وَأَكَلَ الْمَسَاكِينُ وَالْفُقَرَاءُ ، بَلْ وَغَالِبِيَّةٌ
أَهْلِ مَكَّةَ ، تَمَنِّيَا وَزِيَادَةً .

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ دَلِيلُنَا
إِلَى اللَّهِ ، وَأَنْتَ النُّورُ وَالْهُدَايَةُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١﴾ .

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *

(١) سورة المائدة : ١٥-١٦ .